

# التشيع الإمامي بالمدينة المنورة في العصور الإسلامية الوسطى

## دراسة تاريخية موجزة

أحمد خامه يار

أهدي هذا المقال إلى فضيلة الشيخ حسين الوائلي وفاءً وتقديراً لجهوده العلمية في إحياء تاريخ وتراث الشيعة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

### ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى دراسة موجزة للتشيع الإمامي في المدينة المنورة والتطور التاريخي الذي شهده التشيع بها من حيث مراحل انتشاره وانحساره، كما يتطرق البحث إلى الوضع الاجتماعي للشيعة الإمامية، وأهم أعلامها في المدينة المنورة في العصور الأيوبي والمملوكي، وذلك اعتماداً على المعطيات المتوفرة والمواد التي تقدمها أمهات المصادر التاريخية، وخاصة مصادر العصر المملوكي. وتُظهر نتائج البحث أن المدينة المنورة كانت قد أصبحت مدينة ذات أغلبية شيعية خلال العصر الأيوبي؛ ربما كان لظهور الخلافة الفاطمية واستيلائها على الحجاز وتأسيس إمارة الأشراف من آل مهنا الإماميين في المدينة دوراً في انتشار التشيع بها. كما تُظهر نتائج البحث أنه مع قيام دولة المماليك بدأت مرحلة انحسار التشيع الإمامي بالمدينة، حيث شهد النصف الأول للقرن الثامن الهجري محاولات عديدة من أعلام أهل السنة في مواجهة التشيع بالمدينة بدعمٍ من السلطة المملوكية، أدت إلى تقليص الوجود الشيعي بالمدينة المنورة، إلى أن تحوّلت إلى مدينة ذات أغلبية سنية في نهاية العصر المملوكي.

الكلمات المفتاحية : الشيعة الإمامية، المدينة المنورة، تاريخ التشيع، العصر الأيوبي، العصر

المملوكي

## عن هذا البحث

قبل نحو سنتين من إنهاء كتابة هذا البحث كنتُ قد بدأتُ باستخراج المعلومات المتوفرة عن التشيع الإمامي في المدينة المنورة من مصادر تاريخ المدينة المنورة، وبشكل خاص كتاب «صيحة المشاور وتعزية المجاور» لابن فرحون المالكي (ت ٧٦٩هـ)، حيث نويتُ إعداد بحث علمي في هذا الموضوع، ولكن بما أنه لم تتهيأ لي الظروف حينها بالبداية بكتابة البحث، فقد سبقني فضيلة الدكتور الشيخ رسول جعفریان في كتابة مقالة باللغة الفارسية تتضمن جمع ودراسة المعلومات الموجودة عن التشيع الإمامي في المدينة المنورة، من كتاب «صيحة المشاور لابن فرحون». وقد نُشرت المقالة أولاً في مجلة «مِيقَاتِ حَجَّ» الفارسية، ثم تُرجمت إلى العربية لاحقاً ونُشرت في مجلة «مِيقَاتِ الحَجَّ».

وبعد فترة قصيرة أيضاً أصدر فضيلة الشيخ حسين الوائقي كتابه القيم «أعلام المدينة المنورة»، الذي تتضمن تراجم أعلام الشيعة الإمامية في المدينة المنورة من المدينتين والمجاورين، وعرض المعلومات المتوفرة عنهم في ثنايا المخطوطات.

وبما أن فضيلة الشيخ جعفریان اكتفى في مقاله بعرض وتحليل النصوص المتعلقة بالتشيع في المدينة المنورة من ذلك الكتاب فقط، دون غيره من المصادر الأخرى؛ وكذلك عمل الشيخ الوائقي أيضاً - مع أهميته وقيمته ومع الجهد الكبير الذي بذله في سبيل إنجازه - يشتمل على عرض تراجم أكبر عددٍ من أعلام المدينة المنورة مرتبةً على طريقة المعاجم إلا أنه لم يتطرق للسير التاريخي لنمو التشيع وانحصاره بالمدينة من حيث التسلسل التاريخي.

فلهذه الأسباب وغيرها قررتُ أن أتابع عملي في إعداد بحث علمي يتضمن تاريخ الشيعة الإمامية بالمدينة المنورة خلال العهدين الأيوبي والمملوكي، بحيث تتطرق - ولو بإيجاز - إلى ظروف انتشار التشيع بالمدينة والسير التاريخي الذي شهده

انحسار التشيع بها، وهي هذه المقالة التي نقدّمها بين يدي القارئ الكريم.

## نبذة من التشيع الإمامي في المدينة المنورة قبل العصر الأيوبي

ترجع سابقة الوجود الشيعي في المدينة المنورة إلى العصور الإسلامية الأولى، حيث كان يمثل وجود الشيعة في المدينة، أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن يتولاهم ويتشيع لهم من الصحابة والتابعين، وعددًا من الرواة والمحدثين عنهم في القرنين الثاني والثالث للهجرة. وحيث إننا نعلم أن المدينة النبوية كانت في القرون الإسلامية الأولى معقلًا لأصحاب مدرسة الحديث، فمن الطبيعي أن لا نتوقع أن نعدّها مدينة شيعية، بمعنى أن المجتمع الشيعي يمثل الأغلبية السكانية فيها.

ولكننا نجد في نفس الوقت في مصادر رجال الشيعة، ولا سيما كتاب: «الرجال» للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، أسماء عدد كبير من الرواة عن الأئمة عليهم السلام وخاصة الرواة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ممّن عرفوا بنسبة «المدني»، مما يدلّ على وجود حركة علمية لمحدثي الشيعة وأصحاب الأئمة عليهم السلام، وبالتالي وجود مجتمع شيعي في المدينة المنورة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

وقد زوّدنا أبو العباس النجاشي (ت ٤٥٠ هـ)، بأسماء عدد من رجال الشيعة ومحدثيهم ممّن كان لهم كتب أو أجزاء حديثية، منهم: أبو معشر أحمد بن كامل المدني، وأبو ضمرة أنس بن عياض الليثي المدني، وأخوه أبو الحسن جبلة أو جلبة بن عياض<sup>١</sup>، وأبو عاصم حفص بن عاصم السلمي المدني، وداود بن عطاء المدني، وسيابة بن ناجية المدني، وعبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري، ومُطلب بن زياد

١. في المطبوع من رجال النجاشي أنه «جبلة»، كما سقطت منه نسبة «المدني» له، بينما ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان ٢: ٤٢١ نقلاً عن رجال النجاشي باسم «جبلة»، وأضاف إلى اسمه نسبة «المدني»، وتأكّد نسبته إلى المدينة كون أخيه مدنيًا أيضاً.

## الزُّهري القُرشي المدني.<sup>١</sup>

وَمَنْ عرفنا من شعراء الشيعة المدنيّين في هذا العصر: أبو المُشَيِّع جبر بن خالد بن عقبة بن سلمة بن عمر بن الأكوخ الأسلمي المدني<sup>٢</sup>، وقد غلبت كنيته على اسمه، فعُرف بأبي المُشَيِّع المدني.<sup>٣</sup> وهذا الشاعر وإن لم تشر مصادر ترجمته إلى تشيِّعه، ولكن نظنّ قوياً أنه الشاعر الذي ذكره ابن شهر آشوب (ت ٥٨٩ هـ) باسم «المشيع المدني»، وعده من شعراء الشيعة المتقين،<sup>٤</sup> وأورد قطعة من قصيدة له رثى بها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، أو لها:<sup>٥</sup>

يا بقعةً مات بها سيّد      ما مثله في الناس من سيّد

ويظهر من خلال النصوص التاريخية أنّ المجتمع الشيعي بالمدينة المنورة كان يتألف بمعظمه من أسر الأشراف العلويين، حيث كانوا منتشرين انتشاراً واسعاً في المدينة وما حولها من مدن وقري، كينبع والرّس وغيرهما، وكانوا ينتمون في الغالب إلى المذهب الإمامي أو الزيدي. فقد ذكر البشّاري المقدسي (كان حياً سنة ٣٧٥ هـ) في كتابه الذي ألفه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، عند وصفه للمدينة المنورة

١. رجال النجاشي: ٤٥٧ و ١٠٦ و ١٢٨ و ١٣٦ و ١٥٧ و ١٩٤ و ٢٢٥ و ٤٢٣ .

٢. ذكره ابن الجراح (ت ٢٩٦ هـ) في كتاب الورقة: ٦، ووصفه بشاعر مجيد، ورواية للأشعار والأخبار، وذكر أن إسحاق الموصلي (ت ٢٣٥ هـ) يروي عنه شيئاً كثيراً، ثم أورد ثلاث قصائد له. ورواية الموصلي عنه تدل على أنه عاش تقريباً في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

٣. بالإضافة إلى ابن الجراح، ذكره النديم (ت ٣٨٠ هـ) في كتاب الفهرست (١: ٥١٨) في الشعراء المقلّين، علماً أنه ورد اسمه في المطبوع من الكتاب: «أبو المُشَيِّع المدني» تصحيفاً. كما ذكره المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في معجم الشعراء (٥١٥) باسم «أبي المُشَيِّع المازني»، وربما نسبة المازني هنا تصحيف للمدني.

٤. معالم العلماء، ابن شهر آشوب: ١٥٢ .

٥. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٤: ٣٨٨ .

وأهلها، أن «أكثرهم بنو الحسين بن علي عليه السلام»،<sup>١</sup> وذكر عن ينيع أن «الغالب عليها بنو الحسن عليه السلام». <sup>٢</sup>

وربما كان لظهور الخلافة الفاطمية ومحاولتهم الاستيلاء على الحرمين الشريفين، والتي تزامنت مع تولّي الأشراف العلويين إمارة مدينتي مكة والمدينة، دوراً في انتشار التشيع - ولا نقصد بالضرورة التشيع الإمامي - في منطقة الحجاز وكانت لعددٍ من مشاهير الأشراف المقيمين بالحجاز صلات حسنة مع أمراء مصر في العصر الأخشيدي، فاستمرت هذه العلاقات مع الخلفاء الفاطميين من بعدهم.

فقد كان الشريف أبو القاسم جعفر بن محمد الموسوي الحسيني (ت ٣٤٠ هـ)، وهو محدثٌ شيعيٌّ ذكره الشيخ الطوسي في رجاله،<sup>٣</sup> ممّن دخل مصر وأعقب بها ولداً كثيراً،<sup>٤</sup> وكان يحظى بمكانة مرموقة عند أمراء بني الأخشيد، حيث كان يقوم بمهمة إرسال شمسة الكعبة إلى مكة المكرمة لوضعها على كسوة الكعبة.<sup>٥</sup> وكان حفيده أبو جعفر إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر المكي (ت ٣٩٩ هـ) قاضياً وخطيباً بمكة المكرمة، ووصفه ابن عساكر بـ «القاضي الخطيب وإمام الحرمين».<sup>٦</sup>

وكان الحسن بن طاهر بن يحيى، وهو حفيد الشريف النسابة المحدث يحيى بن جعفر العلوي - صاحب كتابي: «أخبار المدينة» و«سب آل أبي طالب» - رحل إلى الأخشيد بمصر وأقام عنده، وأقطعه الأخشيد ما يُعَلُّ في كل سنة مائة ألف دينار. وكان محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى الملقّب بالشريف مسلم (ت ٣٦٦ هـ)،

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، البشاري المقدسي: ٨٠.

٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ٨٣.

٣. رجال الطوسي: ٤١٩.

٤. فضائل مصر وأخبارها وخواصها، ابن زولاق: ٤٦.

٥. إتحاف الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تقي الدين المقرئ: ١٤٢.

٦. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦: ٣٥١-٣٥٢.

صديقاً لكافور الأخشيدي،<sup>١</sup> وكان يُدبّر أمر مصر أيام كافور،<sup>٢</sup> ولمّا اختل وضعف أمر الدولة الأخشيديّة دعا مسلم للخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله (الحكم: ٣٤١-٣٦٥ هـ). ثمّ قدم ابنه طاهر بن مسلم (ت ٣٨١ هـ) من مصر إلى المدينة المنورة، فولّاه أهلها إمارة المدينة، ثمّ ولي بعده ابنه الحسن بن طاهر.<sup>٣</sup>

وكانت إمارة المدينة المنورة قد استقرّت منذ بداية القرن الخامس الهجري بيد الأشراف الحسينيين منذ أن استولى عليها أبو هاشم داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر الحجّة بن عبد الله بن الحسين ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في سنة ٤٠١ هـ؛ فاستمرّت الإمارة في ولده لمدة لا تقلّ عن خمسة قرون، وقد عرفت أمراء هذه الأسرة بآل مهنا، نسبةً إلى مهنا بن أبي هاشم داود بن القاسم.

ويلاحظ في المصادر التاريخية تشتّت في آراء المؤرخين في تحديد أول من حكم المدينة من أمراء هذه الأسرة، وربما يرجع سبب ذلك إلى الضبابية الموجودة في المعلومات المتوقّرة عنهم في المصادر القديمة. فقد عدّ السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) أول أمراء هذه الأسرة، حسين بن مهنا بن داود الحسيني.<sup>٤</sup> بينما اعتبر ابن فرحون أنّ أول من عرف من أمراء هذا البيت هو الأمير عزّ الدين أبو فليّته قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا الحسيني.<sup>٥</sup>

١. صبح الأعشى، القلقشندي ٤: ٣٠٢؛ وقد عزّف القلقشندي الشريف مسلم بأنّه محمد بن طاهر بن الحسن بن يحيى العلوي، بينما اتفق علماء الأنساب على أنّه محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى. وذكر السيد ضامن بن شدقم في كتابه «تحفة الأزهار» ٢: ١٩٩ أنّ الشريف مسلماً «كان إمامي المذهب متعصباً جداً». ولا ندرى إن كان قد اعتمد على مصادر تاريخية، أو أنّه قد عبّر عن رأيه.

٢. جبهة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي: ٥٥.

٣. صبح الأعشى ٤: ٣٠٢؛ وقد ذكره القلقشندي باسم الحسين بن طاهر، والتصحيح من مصادر الأنساب.

٤. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي ١: ١٦٢.

٥. نصيحة المشاور وتعزية المجاور، ابن فرحون: ٣٤٠.

وهناك نصوص وقرائن عديدة تدلّ على أنّ كثيراً من أمراء المدينة الحسينيين من آل مهنا كانوا من الشيعة الإمامية. فقد ذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ) عن أمراء المدينة الأشراف، من بني عطية وبني جَمَاز، أنّهم «جميعاً على مذهب الإمامية الرافضة، يقولون بإمامة الاثني عشر إماماً وغير ذلك من معتقدات الإمامية»<sup>١</sup>. وذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) أنّ «بالمدينة دولة للرافضة لولد المهنا»<sup>٢</sup>، وقال عنهم الذهبي (ت ٧٤٨هـ): «إنّ فيهم تشييع ظاهر»<sup>٣</sup>.

### التشييع بالمدينة في العصر الأيوبي

هناك العديد من الشواهد التاريخية التي يظهر منها أنّ المدينة النبوية كانت مدينة ذات غالبية شيعية خلال العصر الأيوبي، وكانت مناصب القضاء والخطابة وإمامة المسجد النبوي الشريف مجمعة بيد الشيعة الإمامية من أهل المدينة المنورة.<sup>٤</sup> فقد ذكر ابن جبير (ت ٦١٤هـ) في رحلته أنّه - خلال زيارته المدينة سنة ٥٨٠هـ - شاهد في المسجد النبوي بدءاً بإرسالها خطيب وإمام الحرم، «وهو على مذهب غير مرضي» في زعمه،<sup>٥</sup> ولا بدّ أنّه يقصد مذهب الشيعة الإمامية.

وذكر ابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠هـ) حكايةً يظهر منها أنّ الشيعة الإمامية كانت تجتمع في يوم عاشوراء من كلّ سنة لقراءة المصراع - أي مقتل الإمام الحسين عليه السلام - عند

١. صبح الأعشى ٤: ٣٠٦.

٢. تاريخ ابن خلدون ٤: ١٦.

٣. ذيل العبر في خبر من غير، شمس الدين الذهبي: ٢٧.

٤. ولعلّه يمكننا أن نعدّ من هؤلاء: الشريف عبيد الله بن إبراهيم بن عبد الوهاب الحسيني الذي وصفه الحافظ أبو طاهر السلفي (ت ٥٧٦هـ) بـ: «خطيب المدينة والقبر والمنبر». يُنظر: معجم السفر: ٢٢٤، نظراً أنّه عمّ نَميلة جدّ سنان بن عبد الوهاب بن نميلة قاضي المدينة في بداية العصر المملوكي الذي تنسب إليه أسرة آل سنان المدنيّين.

٥. رحلة ابن جبير: ١٧٩.

قبة العباس بن عبد المطلب بمقبرة البقيع،<sup>١</sup> وهي القبة التي تضمّ قبور أربعة من الأئمة الاثني عشر، هم: الإمام الحسن بن علي، والإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليه السلام. ولم يحدّد ابن العديم تاريخاً لأحداث الحكاية، ولكن بما أنّه نقلها من صاحب الحكاية بواسطة واحدة، فنظنّ أنّها ترجع إلى نهاية القرن السادس أو بداية القرن السابع.

وفي سنة ٦٥٤هـ، عندما تعرّض المسجد النبوي الشريف لحريق كبير - وهو أول حريق هائل في تاريخ المسجد - أنشد أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) شعراً، علّل فيه الحريق أنّ النار طهّرت المسجد من آثار الروافض!<sup>٢</sup> ما يدلّ على الوجود الكبير للشيعّة الإمامية بالمدينة المنورة خلال هذا العصر. وقد أكّد ذلك مؤرخ المدينة نور الدين السمهودي (ت ٩١١هـ) بقوله: إن الاستيلاء على المسجد والمدينة كان في ذلك الزمان للشيعّة، و كان القاضي و الخطيب منهم.<sup>٣</sup>

كما ذكر أيضاً الرّحالة المغربي أبو عبد الله العبدري في رحلته إلى الحج التي قام بها سنة ٦٨٨هـ، أي في بدايات العصر المملوكي، حيث ذكر عند وصفه لمنطقة بدر أنّ «أكثر سكان بدر ضعفاء، وهم رفاضة، وكذلك أكثر أهل المدينة، على ساكنها أفضل

١. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم ٢: ١٠٢١-١٠٢٢.

٢. ذيل الروضتين، أبو شامة المقدسي: ٢٩٨؛ وعنه في نصيحة المشاور: ٣١٣؛ كما ذكره الفيروزآبادي في المغانم المطابة ٢: ٤٥٢ باختلاف في بعض الألفاظ. وأورد أيضاً شعراً آخر بهذا المعنى. وقد ردّ بعض شعراء الشيعة على هذه الأشعار بأشعار أخرى، منها ما نقله الحسن بن شدقم في زهر الرياض، ونقله أيضاً ضامن بن شدقم في تحفة الأزهار. كما أنشد الشاعر المصري أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم المصري المعروف بابن الجزّار (ت ٦٧٩هـ) الذي عاصر حريق المسجد النبوي، شعراً عبّر فيه عن اعتقاده بأن النار لم تبق في المسجد بقية من بناء بني أمية. وللإطلاع على هذه الأشعار يراجع أعلام مدينة المنورة: ٥٤٤ - ٥٤٨.

٣. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٢: ٣٧٤.

## الصلاة والسلام»<sup>١</sup>.

فهذه الشواهد التاريخية كلها تدلّ على أنّ المدينة المنورة كانت ذات أغلبية شيعية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

ونرى أنّ استقرار إمارة الأشراف من أسرة آل مهنا منذ بداية القرن الخامس الهجري كان له التأثير الكبير في تعزيز التشيع بالمدينة المنورة. ويرى الباحثون أنّ انشغال كل من السلطان نور الدين محمود بن زنكي (الحكم: ٥٤١-٥٦٩هـ) والسلطان صلاح الدين الأيوبي (الحكم: ٥٦٩-٥٨٩هـ) بمحاربة الصليبيين، كان عاملاً في استمرار الوضع المذهبي للمدينة على سابقه في العصر الأيوبي، من حيث انتشار التشيع وتعزيز مكانته.<sup>٢</sup>

وكان الأمير عزّ الدين أبو فليّته قاسم بن مهنا الحسيني (الإمارة: ٥٥٨-٥٨٣هـ) على علاقةٍ حسنةٍ مع صلاح الدين الأيوبي. فقد نقل أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) عن العماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ) أنّ صلاح الدين كان يستصحب الأمير قاسم في غزواته، فما حضر الأمير مع السلطان على بلدٍ أو حصنٍ إلا فتحه، وكان السلطان يستوحش لغيبته، ويأنس بشيئته، «وكان بجانب السلطان جالساً، ولنظره عليه حابساً»<sup>٣</sup>. وذكر ابن فرحون أنّ قاسم بن مهنا يحضر مع صلاح الدين الفتوحات، ويلزمه في الغزوات، فلم يكن أحد يجسر على الكلام في الإمامية في ذلك الزمان.<sup>٤</sup> ويبدو أنّ هذه العلاقات الإيجابية بين ملوك بني أيوب وأمراء آل مهنا استمرت على حالها. وقد ذكر المؤرخون أنّ سالم بن مهنا، وهو أخو الأمير عزّ الدين قاسم،

١. رحلة العبدري ١: ٣٤٦.

٢. المدينة المنورة في العصر المملوكي، عبد الرحمن المدرس: ١٩٠.

٣. الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة المقدسي ٤: ٤٥.

٤. نصيحة المشاور: ٣٤٠.

سافر إلى دمشق مع الملك المعظم عيسى الأيوبي (الحكم: ٦١٥-٦٢٤هـ)، ابن أخي صلاح الدين، لما قام بالحج، فمات سالم في طريق الشام إلى المدينة سنة ٦١٩ هـ.<sup>١</sup>

أما المؤرخ ابن فرحون فإنه يرى أن انتشار التشيع الإمامي في المدينة المنورة كان بيد أسرة عرفوا بالقيشانيين، «حتى قيل: إن المدينة لم يكن بها من يعرف مذهب الإمامية حتى جاءها القيشانيون من العراق، وذلك أنهم كانوا أهل مال عظيم، فصاروا يؤلفون ضعفة الناس بالمال، ويعلمونهم قواعد مذهبهم، ولم يزالوا على ذلك حتى ظهر مذهبهم وكثر المشتغلون به، وعضده الأشراف في ذلك الزمان، ولم يكن لهم ضدٌّ، ولا في مصر ولا في الشام من يلتفت إليهم؛ لأن الملك العادل نور الدين الشهيد كان حاكماً على البلدين، لكن همّة الجهاد ولا يستقر له قرار».<sup>٢</sup>

ويبدو لنا أن نسبة القيشاني هي نفسها القاشاني، وهي النسبة إلى قاشان أو كاشان، المدينة العريقة بالتشيع الواقعة في قلب إيران، جنوبي مدينة قم التي تعدّ العاصمة التاريخية للتشيع الإمامي في إيران، ونعلم أن كاشان ازدهرت بها الحياة العلمية للشيعية خلال القرن السادس الهجري، حيث ظهر منها في هذا العصر عدد كبير من أعلام الشيعة، من أشهرهم الأمير معين الدين مختصّ الملك وزير السلطان سنجر السلجوقي (الحكم: ٥١١-٥٥٢هـ)، وأنوشروان بن خالد الكاشاني (ت ٥٣٣هـ) وزير الخليفة العباسي المسترشد بالله (الحكم: ٥١٢-٥٢٩هـ)، والإمامين العُلمين الجليلين السيد ضياء الدين أبو الرضا الراوندي، والشيخ قطب الدين الراوندي.

وأمّا قول ابن فرحون بأن أسرة القيشاني جاءت من العراق، فنميل إلى أن المقصود بالعراق في قوله هذا هو «عراق العجم»، وهو الإقليم الواسع الذي يضمّ مدينة كاشان، وربما يحتمل أيضاً أنهم انتقلوا إلى عراق العرب أولاً، ثمّ هاجروا إلى المدينة

١. الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني: ٤: ٣٦٢-٣٦٣؛ التحفة اللطيفة: ٣: ٧٤.

٢. نصيحة المشاور: ٣٣٩-٣٤٠.

المنورة. هذا ولم يحدّد ابن فرحون الفترة الزمنية التي قدمت فيها أسرة القيشاني/ القاشاني إلى المدينة، كما لم يزودنا هو وغيره من المؤرخين، بأسماء أعلام هذه الأسرة المقيمين في المدينة المنورة، واكتفى ابن فرحون بالقول: «إنّ القيشاني «كان رئيس الإمامية وفقهها»، وقد تزوّج ابنته سراج الدين الدمنهوري الشافعي (ت ٧٢٦ هـ).<sup>١</sup>

وقال عنه السيد حسن بن علي بن شدقم في (زهر الرياض): «القاشاني على ما ذكره مؤرّخو المدينة كان من علماء الشيعة مستقلاًّ بالفتيا، وإليه ترجع القضاة منهم في زمانه، ويتتهون إلى رأيه، والدار المشهورة الآن بالمدينة بدار القياشين كانت لهم باقية على بنائهم القديم، ونسبتهم إلى كاشان العجم أو إلى غيرها.<sup>٢</sup> فيبدو إذن أنّ «القياشين»، وقد أشار السهمودي (ت ٩١١ هـ) أيضاً إلى وجود دورهم في المدينة،<sup>٣</sup> تصحيف للقاشانيين، أو القاشيين، أو ربّما استعمل كاسم جمع لنسبة القيشاني.

وكان هناك أعلام آخرون من الشيعة، يختارون مجاورة الحرم النبوي الشريف خلال هذا العصر أو قبيل ذلك؛ ومّن عرفنا منهم: معين الدين عبدك بن الحسن الاسترآبادي، من أعلام القرن السادس على الأرجح، حيث وصفه منتجب الدين ابن بابويه الرازي بمجاور مدينة الرسول ﷺ،<sup>٤</sup> ومنهم الأديب والعالم النحوي اللغوي ابن السّكون الحليّ، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن السكون الحليّ (ت ٦٠٦ هـ)، وقد ذكر المؤرخ ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) في ترجمته أنّه سافر إلى مدينة النبي ﷺ وأقام بها مدةً وصار كاتباً لأميرها.<sup>٥</sup>

ومن جهة أخرى، نلاحظ هناك ظاهرة تتمثل بهجرة عدد من أعلام الشيعة المدنيين

١. نصيحة المشاور: ٣٣٩.

٢. أعلام المدينة المنورة، حسين الوثاقي: ٣٣٨.

٣. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السهمودي ٣: ١٨ و ٥٦ و ٥٥.

٤. الفهرست، منتجب الدين الرازي، رقم ٣٠٣، ٩١.

٥. الوافي بالوفيات، الصفدي ١١: ١٣٢؛ نقلاً عن ذيل تاريخ بغداد لابن النجار.

إلى العراق خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، حيث يبدو أنهم كانوا يؤثرون الإقامة ببغداد والتواصل العلمي مع علماء الإمامية وغيرهم. ومن أشهر هؤلاء يمكن أن نذكر السيد قريش بن السبيح العلوي الحسيني المدني المتوفى ببغداد سنة ٦٢٠ هـ.<sup>١</sup>

وقد ترجم للسيد قريش بن السبيح عدد من المؤرخين؛ كابن النجار، وابن الصابوني، وابن الديبشي، والذهبي، والصفدي، حيث أجمعوا على ولادته بالمدينة المنورة، واختلفوا في تاريخها بين سنة ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ هـ. وكان السيد قريش قد ذهب من المدينة إلى بغداد، وأقام بها إلى أن توفي، وقضى أخريات حياته بمشهد باب التبن، أي مشهد الإمامين الكاظمين عليهما السلام، فُدفن به بعد موته.<sup>٢</sup>

وسمع قريش من المحدّثين ببغداد؛ كابن البّطي (ت ٥٦٤ هـ)، وابن الحشّاب (ت ٥٦٧ هـ)، وابن خُصير (ت ٥٦٢ هـ)، وابن النقور (ت ٥٦٥ هـ)، وأبي زرعة المقدسي (ت ٥٦٦ هـ). مع أن الصفدي قال عنه أنه: «كان يُظهر التسنن، وأنه على مذهب أصحاب الحديث»<sup>٣</sup>، ولكننا لا نشك في تشييعه؛ لتوفر الوثائق المخطوطة التي تشهد بذلك. وقد أحصى الشيخ حسين الوثاقي عدداً من مشايخه والرواة عنه من أعلام الشيعة من خلال أسانيد روايته لمصنّفات علماء الشيعة،<sup>٤</sup> كما أورد نماذج من خطوطه

١. هو أبو محمد قريش بن السبيح بن مُهنّا بن السبيح بن مهتّا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: .

٢. للتفصيل ينظر: أعلام المدينة المنورة ٣١٩ - ٣٢١.

٣. الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٣٨ .

٤. قرأ قريش جميع كتاب «الرجال» للشيخ الطوسي (النسخة المخطوطة رقم: or.7965 في مكتبة بريطانيا) على الفقيه أبي البركات الغيداق بن جعفر الديلمي؛ وقرأ هو وزوجته وأولاده كتاب فضل الكوفة للشجري (النسخة المخطوطة رقم ٣٨٢٩ في المكتبة الظاهرية بدمشق) على الشيخ المبارك بن علي؛ وروى عن عبد الله بن جعفر الدورستاني الرازي، من فقهاء الإمامية في القرن السادس؛ وسمع عنه نظام الدين محمد بن هاشم الهاشمي الغرافي كتاب «الرجال» للشيخ

على نسخ مخطوطة للتراث الإمامي.<sup>١</sup>

ومن أعلام الشيعة المدنيّين في هذا العصر أيضاً السيّد الأمير أبو البقاء مُهنّا بن الحسن بن حمزة المدني العلوي الحسيني، المتوفى ببغداد سنة ٦٤٢هـ. وقد ترجم له الذهبي قائلاً: «أقام ببغداد، ووليَ نَظَرَ الكوفة والحلّة، ونُفِّذَ رسولاً إلى النواحي، وفُوِّضَ إليه وَقَفَ المدينة، ثمّ سار يحمل الكِسوة الشريفة».<sup>٢</sup>

وهناك أعلام أخرى من الشيعة المدنيّين، لم تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات عنهم. وممن عرفنا منهم: السيد يافث بن يافث المدني الحسيني الذي أجازته السيّد رضي الدين علي بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) ضمن إجازة مشتركة لعدّة أشخاص، قرؤوا عليه كتاب: «التشريف بتعريف وقت التكليف» في سنة ٦٥٨هـ ببغداد.<sup>٣</sup>

## التشيع الإمامي بالمدينة في العصر المملوكي

تفيدنا المصادر التاريخية التي ألّفت عن المدينة المنورة خلال العصر المملوكي بتفاصيل مهمّة عن الحياة السياسية والاجتماعية للشيعة في هذا العصر. وأهم هذه المصادر هي «نصيحة المشاور وتعزية المجاور» لأبي محمد عبد الله بن محمد اليعمري التونسي المالكي المعروف بابن فرحون الذي يزودنا بأكثر التفاصيل المتوفرة عن أعلام الشيعة وحياتهم الاجتماعية في المدينة المنورة في بدايات العصر المملوكي، وخاصةً في

الطوسي؛ وروى عنه شمس الدين السيّد فخّار بن معدّ الموسوي؛ وروى عنه أيضاً ابن أبي الحديد أخبار عليّ عليه السلام في كتاب فضائله لأحمد بن حنبل، وهو رواها عن نقيب الطالبين أحمد بن علي بن المعمّر. يراجع للتفصيل: أعلام المدينة المنورة: ٣٢١-٣٢٥.

١. أعلام المدينة المنورة: ٣٢٥-٣٢٨.

٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي ١٤: ٤٢٨.

٣. أعلام المدينة المنورة: ٤٧١-٤٧٢. والإجازة موجودة في المجموع المخطوط رقم: ٢٩/١٢٧ في مكتبة آية الله السيد الكلبيّكاني بقم.

النصف الثاني من القرن السابع، والنصف الأول من القرن الثامن الهجري.

ولعل أشهر أسرة شيعية عرفناها في المدينة المنورة خلال هذه الفترة هي أسرة سنان بن عبد الوهاب الحسيني، وقد تولى عدد من أعلام هذه الأسرة منصب القضاء بالمدينة في بدايات العصر المملوكي، قبل أن يخرج هذا المنصب من يدهم إلى فقهاء أهل السنة. وتظهر من أقوال المؤرخين قوة آل سنان ونفاذ رأيهم في المدينة المنورة. فقد قال ابن فرحون في آل سنان: «إتّهم «يحكمون في بلادهم على جماعتهم وعلى من دُعي إليهم من أهل السنة، فلا يقدر أحدٌ على الكلام في ذلك؛ والتقدّم في الأمور لهم، وأمر الحبس راجعٌ إليهم، والأعوان تختصّ بهم، والإسجلات تثبّت عليهم»<sup>١</sup>.

وجد هذه الأسرة هو عبد الوهاب بن نميلة بن محمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن مهنا الأكبر الحسيني المدني، من الأشراف الواحدة، وقد وصفه السخاوي بـ«قاضي المدينة وخطيبها من الإمامية»<sup>٢</sup>. وابنه أبو هاشم شمس الدين سنان الذي تُنسب الأسرة إليه كان قاضي المدينة بعد أبيه، وقد وصفه عز الدين ابن شدّاد الحلبي (ت ٦٨٤ هـ) بخطيب المدينة وقاضيهما ووزيرها،<sup>٣</sup> وقال عنه السخاوي: «قاضيهما وابن قضاتها الذي لم يُعقب منهم غير صاحب الترجمة»، وذكر أنه الذي كتب إلى دمشق رسالةً عن الزلزلة وظهور النار في المدينة المنورة في جمادى الآخرة من سنة ٦٥٤ هـ.<sup>٤</sup> وذكر ابن فرحون أنه كان في خطبة صلاة الجمعة يذكر الصحابة ويترضى عنهم على المنبر، ثم بعد ذلك يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه ويتصدّق به.<sup>٥</sup>

١. نصيحة المشاور: ٣٤١-٣٤٢.

٢. التحفة اللطيفة: ٤٨٨.

٣. تاريخ الملك الظاهر، ابن شدّاد الحلبي: ٣٢٩.

٤. التحفة اللطيفة: ٣٢٩.

٥. نصيحة المشاور: ٣٣٩.

وأشار ابن شدّاد الحلبي في ذكر الوفود التي وفدوا على السلطان الملك الظاهر بيبرس بعد وصوله إلى الحكم إلى أنّه وفد عليه من المدينة الأمير قاسم بن جَمَّاز صاحب المدينة، والأمير محمد بن شيحة أخو جَمَّاز، والأمير مالك بن منيف بن شيحة وولده هاشم وأبو منصور، والأمير قاسم بن منيف وأخوه سلطان، والقاضي شمس الدين سنان بن عبد الوهاب، فحبسهم السلطان، ثمّ أطلقهم وأحسن إليهم وأنعم عليهم.<sup>١</sup>

وكان للقاضي سنان من الوُلد: علي، وعيسى، وقاسم، ومهنا، وهاشم، ويعقوب؛<sup>٢</sup> عُرف عدد منهم بتوليّتهم منصب القضاء بالمدينة بعد أبيهم، منهم عيسى بن سنان، وقد وصفه السخاوي بقاضي الشيعة،<sup>٣</sup> وعدّ أخاه قاسم بن سنان ممن يقسم من هؤلاء الإخوة.<sup>٤</sup> وذكر ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) ممّن كان في صحبته من الشام إلى المدينة قاضي الزيدية شرف الدين قاسم بن سنان.<sup>٥</sup> ونظنّ أنّه أخطأ في عدّ المذكور قاضياً للزيدية.

ومنهم أيضاً علي بن سنان، وقد وصفه السخاوي بـ «أحد حكام الإمامية بالمدينة»،<sup>٦</sup> وذكر ابن فرحون أنّه لم يكن يُعقد بالمدينة عقد نكاح بغير إذن علي بن سنان، وكان المجاورون وأهل السنة إذا أرادوا عقد نكاح أو فصل حكومة على مذهبهم يأتون أبا عبد الله ابن فرحون - والد المؤرخ ابن فرحون - ليعقد لهم أو يصلح بينهم، فيقول لهم:

١. تاريخ الملك الظاهر: ٣٢٩.

٢. التحفة اللطيفة ٣: ٢٤٠.

٣. التحفة اللطيفة ٥: ٣٧٩.

٤. التحفة اللطيفة ٥: ٤١٤.

٥. تاريخ الملك الظاهر: ١٢٧.

٦. التحفة اللطيفة ٥: ١١٥.

لا أفعل حتى يأتيني كتاب ابن سنان.<sup>١</sup>

وعدّ السيد حسن بن علي بن شدقم في كتابه: «المستطابة في نسب سادات طابة»، هاشم بن سنان وأولاده عزّ الدين حسناً وسناناً وفخر الدين عيسى ويعقوب ونجم الدين يوسف من قضاة المدينة المنورة.<sup>٢</sup> وترجم السخاوي لحسن بن علي بن سنان، وعدّه من قضاة الإمامية.<sup>٣</sup> كما ترجم لشخص اسمه «هاشم بن علي بن سنان»، وذكر أنه «قتل في معركة بـ «ذروان» في صفر سنة ٧٢٧هـ، وكان حميماً لطفيل بن منصور أمير المدينة». <sup>٤</sup>

أمّا أشهر أعلام هذه الأسرة على الإطلاق فهو نجم الدين مهتّا بن سنان بن عبد الوهاب (ت ٧٥٤هـ) الذي يُعدّ من أبرز علماء الإمامية بالمدينة في عصره. وقد بالغ مؤرخو المدينة في مدحه؛ فقد ذكر ابن فرحون عن موقعه بين أسرة آل مهتّا أنّه: «كان هو القاضي في الحقيقة من بين سائر قرابته، وبه يُناط الحُلّ والعقد،<sup>٥</sup> وإليه ترجع محاكمات الشيعة وأنكحتهم وعقودهم، وغير ذلك». <sup>٦</sup> ووصف علاقاته مع المجاورين للحرّم النبوي بما يلي: «كان من أعظم الناس موالاتاً للمجاورين واختلاطاً بهم، ... وكان يتحبّب إلى المجاورين، ويمدحهم بالقصائد الحسنة، ويستقصيهم الحوائج،

١. نصيحة المشاور: ٣٤٠-٣٤١.

٢. يُراجع: أعلام المدينة المنورة: ٤٢ و ١٥٤ و ٣١٩ و ٤٧٢ و ٤٧٣.

٣. التحفة اللطيفة ٢: ٣٠٨. وقد ذكر السخاوي في ترجمته أنّه «يُلقّب عزيزاً»، ولكن ذكر ابن فرحون أنّه الملقّب عزيزاً. يُنظر: نصيحة المشاور: ٣٥٤ (ط مركز دراسات المدينة)، حيث رجّح المحقق في المتن، ما ضبطه السخاوي، على ما ورد في الأصل المخطوط.

٤. التحفة اللطيفة ٨: ٧٤.

٥. في المطبوع من كتاب نصيحة المشاور، تحقيق مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة: «نياط»، وما أثبتناه من النسخة المطبوعة للكتاب بتحقيق علي عمر: ٢٤٧.

٦. نصيحة المشاور: ٣٣١.

ويحضر مواعيدهم ومجالس الحديث»<sup>١</sup>.

كما بالغ الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) أيضاً في مدحه بقوله: «ذو الفضيلة الحفيلة، والآداب الجميلة، والمحاضرة الحلوة، والمحاورة التي لا يعترى مجبها السلوة، قل ما رُئي شيعي على طريقته، أو إمامي جبل على خليقته. كان في موالاة أهل السنة إلى الأمد الأقصى، ولا يدع في حُسن مآلأة المجاورين وحميد شيمته نقصاً، يتجاهر في محبتهم بما يُنبئ عن حسن عقائده، ويتظاهر بذلك فيمدحهم بالمدائح البليغة من غرر قصائده، ويوافقهم في حضور مواعيدهم وسلوك مناهجهم، ويتعرض دائماً لاستعراض خدمهم واستقضاء حوائجهم»<sup>٢</sup>.

وذكر ابن فرحون أنه «كان يستعمل التقيّة كثيراً. وكان إذا نسخ كتاباً ومرّ به ذكر أبي بكر وعمر يترضى عنها بالخطّ تقيّة»<sup>٣</sup>. وأشار بذلك الفيروزآبادي أيضاً بقوله: «لا يدع الترضي عن الشيخين في مقالته وكتابه، ويسلك مسلكاً يقطع الإنسان بخلوص مودّته لأهل السنّة وجابته، وكثيراً ما كان يُصرّح بالذمّ البليغ لجماعته وصحابته»<sup>٤</sup>.

ولنجم الدين مهنا بن سنان إجازتان من العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) وإجازة من ولده فخر المحققين (ت ٧٧١ هـ). وله أيضاً رسائل ومؤلفات، منها: «المسائل المدنيات»، وهي أسئلة عقائدية وفقهية وتفسيرية وأدبية أجاب عنها العلامة الحلي وولده فخر المحققين؛ ومنها أيضاً: «حسن الخلال المختصرة من كتاب الخصال»، وهو تلخيص كتاب «الخصال» للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)؛ ومنها مناظرة بينه وبين إبراهيم بن أبي الغيث المعروف بابن حسام العاملي حول إكرام السادة الأشراف؛ وقد فصل الشيخ

١. نصيحة المشاور: ٣٣١.

٢. المغانم المطابة في معالم طابة، الفيروزآبادي ٣: ١٣٠٤.

٣. نصيحة المشاور: ٣٣١-٣٣٢.

٤. المغانم المطابة ٣: ١٣٠٥.

حسين الواثقي الكلام عن رسائله ومؤلفاته،<sup>١</sup> كما أعدّ كتابه للطبع: «القاضي السيد مهنا بن سنان الحسيني المدني: حياته وآثاره».

وكان عدد من رؤساء المدينة في العصر المملوكي الأول من الشيعة المدنيّين، ممّن عرفنا منهم: «نور الدين علي بن الصّفي». فقد ترجم له ابن فرحون قائلاً: «كان من رؤساء أهل المدينة وخيارهم، وكان يُوالي المجاورين، ويخدمهم في قضاء حوائجهم، مع جلالة قدره وعلو كلمته ومحبة الأمراء له».<sup>٢</sup> وذكره في موضع آخر باسم «نور الدين بن الصّفي»، واصفاً إيّاه بـ «فقيه الإمامية في وقته ورئيسهم».<sup>٣</sup>

كما ترجم له السخاوي مرتين، ذكره في الأولى باسم نور الدين علي بن الصّفي، ونقل ترجمته عن ابن فرحون،<sup>٤</sup> وذكره في الثانية باسم علي بن يوسف بن عزيز المدني، ونقل ترجمته عن ابن صالح الكناني (ت ٧٨٥ هـ)، من كتابه المفقود في تاريخ المدينة، قائلاً: «كان فقيهاً ذا جاهٍ ومالٍ ودربةٍ ودرايةٍ، حسنَ الملتقى والهيئة، بشوشاً قاضياً حاجة سائله من أهل السنّة، مُعظماً عند أهل المدينة والمجاورين وغيرهما، حاكماً يرجع إليه الوالي في الصلح بين الناس».<sup>٥</sup>

وقد وصفه أيضاً الآقشهرى (ت ٧٣٩ هـ) بـ «القاضي المشاور صفي الأشراف، كثير الألفاف، بقية الأسلاف، نور الدين أبو الحسن علي بن الشيخ الفقيه المرحوم صفي الدين يوسف بن عزيز المدني الإمامي»<sup>٦</sup> ونقل عنه نصّ ما أملاه عليه في زيارات المسجد النبوي الشريف، حيث يتضمّن هذا النصّ زيارة رسول الله ﷺ وصاحبه!

١. يُنظر: أعلام المدينة المنورة: ٤٥٠-٤٥٥.

٢. نصيحة المشاور: ٣٢٣.

٣. نصيحة المشاور: ٢٦٢.

٤. التحفة اللطيفة: ١١٦-١١٧.

٥. التحفة اللطيفة: ٢٠٢.

٦. الروضة الفردوسية والحضرة القدسية، الآقشهرى: ٢٣٤.

وزيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والأدعية التي تُقرأ عند رأس النبي صلى الله عليه وآله وعند مقام جبرئيل.<sup>١</sup>

وذكر ابن فرحون شخصاً آخر اسمه يعقوب بن الصفي، يبدو أنه أخو نور الدين علي بن الصفي، وعده من كبار الإمامية، وذكر أنه «كان يقف في وسط الروضة النبوية، ويقول بأعلى صوته:

إذا كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي

فيفزع من ذلك أهل السنة، وكان له في مثل هذا التعصب أمثاله وله أعوان».<sup>٢</sup>

ومن أسر الشيعة بالمدينة المنورة: الأسرة «العيّاشية»،<sup>٣</sup> قال ابن فرحون عن أصولهم وتحوّلهم إلى التشيع: إنّه «كان جدّهم مغربياً سنياً، تزوّج من بنات المدينة، ومات عن أولادٍ صغار، فنشأوا في مذهب أمّهم، ثمّ كثروا وانتشروا، وتمذهبوا بمذهب الشيعة وغلوا فيه».<sup>٤</sup> ويظهر مما ذكره السخاوي في ترجمة زكي الدين محمد بن محمد الكِناني الشافعي (ت ٨٨٢ هـ) من أنّه قُتل على يد بعض «العيّاشي»،<sup>٥</sup> بقاء هذه الأسرة حتى نهاية القرن التاسع الهجري على الأقل.

ومن عرفناه من أعلام هذه الأسرة «يوسف الشُّريشير»،<sup>٦</sup> حيث يظهر جلياً من

١. الروضة الفردوسية ١: ٢٣٤-٢٣٩.

٢. نصيحة المشاور: ١٥٣.

٣. «العيّاشية» وردت في النسخ المخطوطة والمطبوعة لنصيحة المشاور بشكل «العبّاية» تصحيفاً، وذكرها صحيحاً السخاوي في التحفة اللطيفة ٧: ١٧٧ نقلاً عن ابن فرحون.

٤. نصيحة المشاور: ٢٨١.

٥. التحفة اللطيفة ٧: ٤٠.

٦. هكذا ورد اسمه في المصادر التاريخية، ولا ندرى ان كان «الشريشير» تصحيفاً لنسبة «الشريشي» - نسبة إلى مدينة شريش في الأندلس - أم لا. وورد في المطبوع من تحفة الأزهار ٢: ٤٣٦ باسم «يوسف الشريشي».

وصف ابن فرحون له بـ«شيخ الشيعة وفقههم»،<sup>١</sup> أنه كان من فقهاء الشيعة بالمدينة في القرن الثامن. وقد ذكر ابن فرحون عند كلامه عن محاولة الأمير جَمَّاز بن منصور (الإمارة: ٧٥٩هـ) لرجوع الإمامية إلى ما كانوا عليه من القوة والسلطة في المدينة المنورة أنه أذن ليوסף الشريشير أن يحكم بين الغرباء.<sup>٢</sup> ويظهر من هذا النص أنه كان حياً في سنة ٧٥٩هـ.

ومن أعلام الإمامية في القرن الثامن الهجري أيضاً «ابن أبي النصر»، ذكره أيضاً ابن فرحون، وعبر عنه بالقويضي - تصغير القاضي - ووصفه بـ«مفتي الإمامية وشيخهم»، ويظهر من قوله إنه كان معاصراً للأمير جَمَّاز ما يدل على بقاءه إلى سنة ٧٥٩هـ.<sup>٣</sup> ولم نعثر عن هذا الرجل على شيء آخر غير إشارة السمهودي إلى وجود قبر عُرف بابن أبي النصر، وكان عليه بناء، غربي قبة أئمة أهل البيت عليهم السلام بمقبرة البقيع،<sup>٤</sup> يُرجح جداً أنه نفسه المذكور في كتاب: «نصيحة المشاور».

ومما يلاحظ أن مؤرخي الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، وبما أنهم ينتمون إلى مذاهب أهل السنة والجماعة، ولا سيما ابن فرحون ومن تبعه كالفيروز آبادي، كانوا ينظرون للشيعة نظرة حقدي وكرهية، وكثيراً ما كانوا يحاولون أن يصوِّروا الشيعة على أنهم أصحاب بدع ومنكرات، ويروون ما يتضمَّن نقيصتهم والخطأ منهم، وينقلون أحياناً قصصاً وحكايات تتضمَّن عجائب وخوارق للعادة ورؤى في المنام يُراد منها ذم الشيعة.

منها ما حكاها تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) عن «الشَّريشير»، حيث عدّها من

١. نصيحة المشاور: ٢٨١.

٢. نصيحة المشاور: ٣٦٥.

٣. نصيحة المشاور: ١٢٠.

٤. وفاء الوفاء: ٣٠٢.

كبار الرافضة بالمدينة، ولا بدّ أنّه فقيه الشيعة «يوسف الشريشير» المذكور أعلاه، بأنّه «دُفن بالبقيع، ثمّ بعد مُدَّةٍ رُوِيَ بعضُ أهل الخير الغرباء يقرأ على قبره ويلازم القراءة عليه، فليَمَ على ذلك، فقال لهم: كان لي شيخٌ توفيّ بغير المدينة فرأيتُه في المنام، فقال لي: أنا نُقلتُ إلى قبر الشريشير بالمدينة، ونقل الشريشير إلى قبوري. فأنا ألازم القراءة على هذا القبر لهذا المعنى!»<sup>١</sup>

ومثل هذه الحكاية ما ذكرها ابن فرحون عن رجل من الشيعة كان يُعرف بابن هيلان، ذكر عنه أنّه «كان مُسرفاً على نفسه شديداً في تشييعه، وكان يوماً يهدمُ حائطاً، فذكر عنه أنّه صدر منه كلامٌ في حقِّ الصّحابة، فسقط عليه الحائط فهلك، فدُفن بالبقيع. فلما كان اليوم الثاني من موته أصبح القبر خالياً منه، ليس في اللحدِ أحدٌ، ولا حول القبر نبشٌ ولا أثرٌ، وقد زال الترابُ الَّذي دُفن به القبرُ حتّى انكشف اللبُّنُ، وليس للترابِ أثرٌ ولا عنه خبرٌ، وقد خلا من عند رأسه ثلاثُ كَبَناتٍ لا غيرٌ».<sup>٢</sup>

كما عدّ ابن فرحون في كتابه تقاليد وممارسات للشيعة الإمامية مما اعتبرها بدع وضلالات لهم. فقد ذكر أنّ «الشرفاء من آل سنان وغيرهم كانوا إذا أظلم الحاجُّ يُسارعون إلى الحجره بصناديق وكراسي يصبونها حول الحجره الكريمة، يتخذونها مقاماتٍ يجلسون عليها للتزوير،... لا يقدر أحدٌ أن يشاركهم في مناصبهم، ولا ينفصل عنهم الزائر إلا بشيءٍ، وإن كان معه شمعٌ أو ماءٌ وردٍ أو هديّةٌ أو نذرٌ، فهم الآخذون له، يجعلونه في صناديقهم بدعاً مقرونةً بجاهِ الوُلاة من الشرفاء».<sup>٣</sup>

وذكر أنّ المقصورة الكبيرة التي زادوها على الحجره الشريفة وقايةً من الشمس إذا غربت، كانت بدعةً وضلالةً يُصلي فيها الشيعة الإمامية، «لأنّها قطعَت الصّفوفَ،

١. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين القاسبي ١: ٥٣٥.

٢. نصيحة المشاور: ٢١٧-٢١٨.

٣. نصيحة المشاور: ٥٤.

وَأَتَّسَمَتْ بِمَنْ ذَكَرَ مِنَ الصُّنُوفِ». وذكر أنها كانت مواطن تدرّس الشيعة الإمامية، وخلوة علمائهم، وكان الشريف عزازاً - ويبدو أنه من رجال الشيعة - يقف على بابها، ويؤذّن بأعلى صوته من غير خوفٍ ولا فزع: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»<sup>١</sup>.

ومّا اعتبره ابن فرحون من بدع الشيعة في شهر رمضان، ما ذكره أنه أدرك «قُرَاءَةَ الإمامية وأئمّتها إذا دخل شهر رمضان أخذوا من القُبَّةِ شمعاً وشمعداناتٍ على عددهم، ينصبونها بعد صلاة العشاء الآخرة في مجالسهم، ويدعون في كتبهم، ويرفعون أصواتهم حول الروضة، والناس في الصلاة لا يعلمون صلاتهم من رفع أصواتهم، ولا يسمعون قراءة إمامهم لكثرة قرائهم، ويجتمع عليهم من الناس خلقٌ كثير، ويتخلّلون تلك الأدعية بسجّاداتٍ لهم مُوقَّعة»<sup>٢</sup>.

وفيما يتعلق بأعلام الشيعة المجاورين للحرم النبوي في هذا العصر، يمكن أن نذكر عزّ الدين أحمد بن عبد الكريم الحمصي المعروف بابن جلال الحمصي (ت ٦٨٧ هـ). وقد ووصفه السيد مهتّا بن سنان في رسالته: «لإيضاح والتبيين بفضل ربّ العالمين» بالفقيه العلامة وذكر أنه أقام بالمدينة إلى أن توفّي بها<sup>٣</sup>. كما أقام محمّد بن أبي بكر الهَمَذَانِي الدمشقي السكاكيني (٦٣٥ - ٧٢١ هـ) بالمدينة المنورة مُدَّةً طويلة عند أميرها منصور بن جَمَّاز<sup>٤</sup> (الإمارة: ٧٠٠ - ٧٢٥ هـ)، فلا بُدَّ أن إقامته بالمدينة كانت خلال العقدين الأول والثاني من القرن الثامن الهجري.

## تحوّل أهل المدينة من الإمامية إلى أهل السنة في العصر المملوكي

اشتهر المماليك بتعصّبهم لمذاهب أهل السنة وشدّتهم على أصحاب المذاهب

١. نصيحة المشاور: ٥٢.
٢. نصيحة المشاور: ٥٥.
٣. أعلام المدينة المنورة: ٣١-٣٣.
٤. معجم الشيوخ - المعجم الكبير، شمس الدين الذهبي ٢: ٣١٨؛ التحفة اللطيفة ٦: ١٠٨.

الأخرى، وانتهجوا سياسة أسلافهم من بني زنكي وبني أيوب في بناء المدارس الدينية لفقه المذاهب الأربعة، والتصديق والاشتداد على فرق الشيعة وأتباع الأقليات الدينية الأخرى. وقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن السابع والسنوات الأولى من القرن الثامن عدة هجمات عسكرية من قبل المهالك على الفرق الدينية القاطنة في جبال لبنان، عُرفت بفتوح الجُرد وكسروان.

ومنذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري، أي بعد تأسيس الدولة المملوكية، بدأت محاولات لعدد من أعلام وفقهاء أهل السنة لمحاربة التشيع الإمامي بالمدينة المنورة. ويزودنا ابن فرحون بتفاصيل كثيرة تقدّم لنا صورة وافية عن كيفية التحول المذهبي بالمدينة من التشيع إلى السنن، حيث يكشف لنا عن محاولات رجال أهل السنة في هذا المجال في ظل دعم السلطة المملوكية وحمايتها لهم؛ بالإضافة إلى خروج بعض أمراء المدينة الأشراف من التشيع لصالح أهل السنة وتعزيز مكاتهم بالمدينة المنورة.

ولعل أولى هذه المحاولات ما قام به صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المصري، المعروف بابن حنّا (ت ٦٧٧ هـ) عند قدومه إلى المدينة، حيث إنّه وباعتباره وزيراً للسلطان المملوكي،<sup>١</sup> مارس ضغوطاً على الشيعة جعلهم يضطرون إلى استعمال التقية. وتفصيل ذلك - كما ذكره ابن فرحون - أنّ صاحب ابن حنّا عند قدومه وإقامته بالمدينة، «كثّر من قراءة المواعيد، وقام على آل سنان والقياشين، فهابوا مكانه من السلطان، وأذعنوا واستعملوا التقية... وكان يأتيه من ينبع قوافل بالدقيق والقمح والأرز وأنواع الحبوب، فيعطي منه الخدام والمجاورين، ويمدّ رؤساء الإماميين وكبار

١. تولّى بهاء الدين ابن حنّا منصب الوزارة في العصر المملوكي لمدة ١٨ سنة، ابتداءً من سنة ٦٥٩ هـ وانتهاءً بموته، حيث كان وزيراً للسلطان الملك الظاهر بيبرس (الحكم: ٦٥٨-٦٧٦ هـ)، ثم لابنه الملك السعيد بركة خان (الحكم: ٦٧٦-٦٧٨ هـ).

الشرفاء المقيمين، حتى أشهدوا على أنفسهم أنهم سُنة، ولا يحكمون بأحكام البدعة لأنه كان الحكام منهم والفقهاء منهم، ولم يزاوا كذلك حتى سافر صاحب عنهم، فرجعوا إلى حالهم، ولكن بعد هضم جانبهم وكسر شوكتهم، فاستمرت المواعيد والقراءات والاستماع والسماعات»<sup>١</sup>.

وفي سنة ٦٨٢ هـ قدم إلى المدينة سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت ٧٢٦ هـ)، وكان قد تولّى خطابة المسجد النبوي الشريف، وأخذها من آل سنان، فكان أول خطيب لأهل السنة بالمدينة، حيث استمرّ بالخطابة إلى موته. وتعرّض سراج الدين في أول أمره للأذى من الشيعة. ثم تزوج بنت القيشاني رئيس الإمامية وفقهها، فلما صاهرهم «انكف عنه الأذى قليلاً، وصار يخطب ويصلي من غير حكم ولا أمر ولا نهي»<sup>٢</sup>.

ومنذ أيام شيخ خدام الحرم النبوي شبل الدولة كافور المظفري المعروف بالحريري، وقد تولّى المشيخة سنة ٧٠٠ هـ، كثر المجاورون وطلبوا من الملك الناصر محمد بن قلاوون المملوكي (الحكم: ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ) أن يكون لأهل السنة حاكم يحكم بينهم ويحملهم على مذهبهم، فقلّد بذلك القاضي سراج الدين، «فاستمرّ الحال على ذلك، يحكّم بين المجاورين وأهل السنة، وآل سنان يحكمون في بلادهم على جماعتهم وعلى من دُعي إليهم من أهل السنة، فلا يقدر أحدٌ على الكلام في ذلك»<sup>٣</sup>.

ومن علماء السنة الذين كان لهم دورٌ في مواجهة التشيع وانحساره بالمدينة، القاضي شرف الدين محمد بن محمد بن أحمد اللخمي الشافعي المصري المعروف بابن الأميوطي (ت ٧٤٥ هـ)، وقد قال عنه ابن فرحون: «كان في القاضي شرف الدين شدة

١. نصيحة المشاور: ٥٥-٥٦.

٢. نصيحة المشاور: ٣٣٤-٣٤٠.

٣. نصيحة المشاور: ٣٤١.

على الأشراف، وكان له هيبَةٌ عظيمة، سقاهم المرُّ وأذاقهم الصبر. وأما سطوته على الإمامية وتوبيخه لهم في المحافل وسبُّهم على المنبر فأمرٌ مشهورٌ لا يحتاج إلى وصف، ... وكان متمسكاً بالسنة، يتبع أشدّها، ويحمل نفسه على أشقّها»<sup>١</sup>.

وكان لابن الأميوطي مؤلّف اسمه: «الجواهر السنّية في الخطب السنّية»، ذكر ابن فرحون أنّه «قلّ أن يخلو منها خطبةٌ إلّا وفيها ذكرُ البدعة وأهلها، وتوبيخهم بما هم عليه». ومن سيرته في معاداة الشيعة أنّه: «نزل مرّةً من على المنبر لضرب رجل من الإمامية»، وأنّه «كان يصيح عليهم [أي الإمامية] وهو على المنبر، ويأمر بجرّهم عنده فيضربهم». ومنذ يوم عيد الأضحى سنة ٧٣٦ هـ، منع الإمامية من أن يصلّوا صلاة العيد في مسجد مصلى الإمام علي عليه السلام، وألزمهم بالدخول مع أهل السنة في مسجدهم<sup>٢</sup>.

أمّا ابن فرحون نفسه، فقد تولّى قضاء المدينة في سنة ٧٤٥ هـ نيابةً عن القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني الشافعي، فجهد جهداً كبيراً في كسر شوكة قضاة المدينة من الشيعة الإمامية وإقصائهم عن القضاء وإعراض الناس عنهم، وهو يشرح السيرة التي انتهجها في استمالة أهل المدينة إلى نفسه وإبعادهم عن قضاة الإمامية بقوله: «فسلكتُ مع الناس سبيلَ السياسةِ وسدّدتُ الأحكامَ، وجريتُ على الصلح بين الخصوم، فمال إليّ أهلُ المدينة، ورأوني لا آخذُ منهم شيئاً في حكم ولا إثباتٍ ولا وراقيةٍ، بل ربّما أعطي من عندي من أتحقّق ضرورته من الغرماء، فأحبّني أهل المدينة ومالوا عن قضاة الإمامية، واعتزلوهم وتركوا المحاكمة عندهم... ولم أزل معهم كذلك حتّى أخل الله ذكرهم وماتوا وهم أحياء، ولم يبقَ لهم في البلد أمرٌ ولا نهْيٌ إلّا في الشيء التافه والأمر النادر»<sup>٣</sup>.

١. نصيحة المشاور: ٣٤٨.

٢. نصيحة المشاور: ٣٤٩.

٣. نصيحة المشاور: ٣٥٤.

ويتابع ابن فرحون القول إنه منذ سنة ٧٤٧ هـ، بدأ بالتشديد على الإمامية في نكاح المتعة والتنكيل بفاعليها، وحمل الناس على مذهب مالك بن أنس، وتعزيز من تكلم في الصحابة، «فلم يزد الناس إلا طاعةً وقبولاً»<sup>١</sup>. كما أشار هو نفسه إلى نشاطه في تدريس المذهب المالكي ودوره في إعادة ظهور وانتشار هذا المذهب بالمدينة المنورة.<sup>٢</sup> وانتهى الأمر بذلك إلى محاولة فاشلة لاغتياله سنة ٧٦٣ هـ.

وبالإضافة إلى محاولات فقهاء أهل السنة، كان لعدد من أمراء الأشراف بالمدينة أيضاً دورٌ في انحسار التشيع ودعم أهل السنة، حيث بدأ عدد منهم منذ بدايات القرن الثامن تقريباً، بالخروج عن التشيع والانتقال إلى مذاهب أهل السنة، ربّما تقريباً بأصحاب السلطة الملوكية لتوليتهم إمارة المدينة. وربما يُعدّ الأمير وُدَيِّ بن جَمَّاز بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني (الإمارة: ٧٣٦-٧٤٣ هـ)، أول أمير تصدّى لمواجهة التشيع، فقد وصفه ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) بقوله: «مُقيم السنّة ومُعَلِّمها، ورافض الرافضة ومُقصِّبها»<sup>٣</sup> ما يُظهر دوره في ذلك.

وقد زوّدنا القلقشندي بنصّ مرسوم من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المملوكي بتولية الأمير وُدَيِّ بن جَمَّاز بإمارة المدينة مشاركةً مع ابن أخيه الأمير سيف الدين،<sup>٤</sup> والجدير بالذكر أنّ الفرمان من إنشاء ابن فضل الله العمري، حيث كان يتقلّد رئاسة ديوان الإنشاء في عهد الملك الناصر، وما يهمننا هنا أنه يحثّ فيه الأمير على محو بدع الطائفة الإمامية والتضييق والتشديد عليهم، ومّا ورد فيه أنه: «لا يدع للإمامية إماماً يقتدي به منهم قومٌ شرار، ولا قاضياً يقضي بينهم... ولا يُفتح لهم بفتوى على

١. نصيحة المشاور: ٣٥٥.

٢. نصيحة المشاور: ١٥٠.

٣. الدرر الكامنة: ٤: ٤٠٧.

٤. لم يرد في النسخة اسم الأمير، ولعلّ المقصود هو طفيل بن منصور بن جَمَّاز (ت ٧٥٢ هـ).

مذاهبهم فم»<sup>١</sup>. كما زوّدنا القلقشندي أيضاً بنصّ مرسوم آخر بتولية أحد الأمراء بإمرة المدينة، تتضمّن توصيته بإزالة البدع ومواجهة الروافض، «من رفع أيدي قضاتهم ومنعهم»، وإلزام أهل المدينة بكلمة السنة.<sup>٢</sup>

أمّا الفيروزآبادي فقد عدّ الأمير سعد بن ثابت بن جَمَّاز بن شيحة الحسيني (الإمارة: ٧٥٠-٧٥١ هـ) أول أمراء المدينة الأشراف ممن دعموا أهل السنة، حيث وصفه بأنّه: «أول من قمع الله تعالى به البدعة وأركانها، ورفع به قواعد السنة وبنائها، ... وأحمد نار الشيعة وأطفأها»<sup>٣</sup>. وبالغ في مدحه ابن فرحون أيضاً بسبب مواقفه هذه قائلاً: «كان في دولته من أحسن الأمراء سيرةً، ... ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة، ... مُستجلباً به رضى السلطنة»<sup>٤</sup>.

وكان أول ما بدأ به الأمير سعد بعد استقراره في الإمارة، كما ذكر الفيروزآبادي، منع آل سنان وعلماء الإمامية من التعرّض للأحكام الشرعية وعقد الأُنكحة، وردّ الأمر إلى أهل السنة تقرباً لقلوب السلطنة المملوكية، «ونادى في المدينة وأسواقها جهاراً نهاراً أن لا يحكم في المدينة إلا القاضي الشافعي، ... ثمّ إنه منع فُضاة الشيعة أن يدخلوا معه الحجرة الشريفة»<sup>٥</sup>.

وكانت هذه المحاولات تتخلّلها بين الحين والآخر محاولات أخرى للأمراء الذين بقوا على تشيعهم، في دعم الشيعة الإمامية وإعادة الأمور إليهم. فقد حاول الأمير جَمَّاز بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة خلال مدّة ولايته القصيرة التي لم تدم أكثر من

١. صبح الأعشى ١٢: ٢٣٧-٢٤٣.

٢. صبح الأعشى ١٢: ٢٤٧-٢٤٨.

٣. المغانم المطابة ٣: ١٢٠٩.

٤. نصيحة المشاور: ١٠٣.

٥. المغانم المطابة ٣: ١٢٠٩؛ وأيضاً في: التحفة اللطيفة ٣: ١٠٢-١٠٤.

تسع أشهر خلال سنة ٧٥٩ هـ، رجوع الإمامية إلى ما كانوا عليه، فأذن لفقهاء الشيعة يوسف الشريشير أن يحكم بين الغرماء، «فظهرت كلمتهم، وارتفعت رايتهم»، وأظهر لابن فرحون وللمجاورين الجفاء والغلظة في الكلام؛ كما ذكر ابن فرحون نفسه. وقد أودت هذه السياسة التي انتهجها الأمير جَمَّاز بحياته، فكان مصيره أن «قُتِلَ على يد فدائيين، جُهِّزَ مع الركب الشامي لذلك»<sup>١</sup>.

وكان ابنه الأمير هبة بن جَمَّاز بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة الحسيني (الإمارة: ٧٧٣-٧٨٢ هـ) انتهج سياسة مخالفة لسياسة أبيه، وانتقل إلى المذهب الشافعي، ويذكر الفيروزآبادي أنه: «لما علمت الدولة المصرية بذلك، سلكت في تقديمه وتعظيمه أحسن الممالك، واختاروه للولاية والتأثير، واصطفوه على كل شريف وأمير، وأحمدوه في نقل مذهبه ووروده المنهل العذب النмир! فخلع السلطان عليه خِلاعةً مُنيفةً، وقلده إمارة المدينة الشريفة». فكان انتقاله المذهبي سبباً لولايته وإمارته على المدينة من قبل المهالك<sup>٢</sup>.

ويتابع الفيروزآبادي القول عن سيرة الأمير هبة بن جَمَّاز في معاضدة أهل السنة أنه: «لما باشر الولاية، نشرَ أعلام السنَّة النبويَّة نشرًا جميلاً، وبلغَ المجاورين أمانهم فيما كانوا يرومونه تأمياً، وحسن ما مهَّده ابنُ عمِّه من المعدلة برفع قواعد السنَّة تميماً وتكميلاً». وفي عصره اتفق أن صار كلُّ من السلطان والقاضي وشيخ خُدَّام الحرم بالمدينة المنورة شافعيين، وهذا مما لم يُعهد في عصر من الأعصار، كما يرى الفيروزآبادي<sup>٣</sup>.

وفي القرن التاسع الهجري استمر الانقسام في مواقف أمراء الأشراف بالمدينة بين

١. نصيحة المشاور: ٣٦٥-٣٦٦؛ التحفة اللطيفة ٢: ٢١٧.

٢. المغانم المطابة ٣: ١٣١١.

٣. المغانم المطابة ٣: ١٣١١-١٣١٢.

من يميل إلى الشيعة و يحاول دعمهم و مساندهم و إعادة تعزيز مكانتهم ، و بين من يميل إلى أهل السنة و يقوم بقمع الشيعة و التشديد عليهم . فقد ذكر المؤرخون في سيرة الأمير عجلان بن نَعير بن هبة بن جَمَّاز الحسيني أنه أقام شخصاً من الشيعة قاضياً، اسمه الصَّيقل، وكان يُرسل إليه غالب الأحكام.<sup>١</sup> كما ولى أخوه الأمير ثابت بن نَعير شرطة المدينة شخصاً اسمه علاء الدين علي بن محمد القائد (ت ٨٢٨ هـ)، من أهل جبل عامل، ذكروا عنه أنه «كان يُنسب للشيعة».<sup>٢</sup>

ومن جهة أخرى، ذكر المؤرخون في سيرة الأمير زهير بن سليمان بن هبة بن جَمَّاز الحسيني (الإمارة: ٨٦٥-٨٧٤ هـ)، أنه كان ينظر لأهل السنة، ويقمع المُبتدعة -ولابد أنهم قصدوا بالمبتدعة طائفة الشيعة الإمامية-، وهكذا كانت سيرة جدّه هبة بن جَمَّاز، فكانت الشيعة تكرهه لهذا السبب.<sup>٣</sup> كما ذكروا عن ابنه الأمير قُسيطل بن زهير (الإمارة: ٨٨٣-٨٨٧ هـ) أيضاً أنه كان يميل لأهل السنة.<sup>٤</sup> و ذكروا أيضاً عن الأمير فارس بن شامان الحسيني (الإمارة: ٩٠١-٩٠٣ هـ) أنه قام بقمع الشيعة. و كان قد تأدّب مع أهل السنة.<sup>٥</sup>

وهكذا استمرّ التضييق على طائفة الشيعة الإمامية بالمدينة حتى نهاية العصر المملوكي. ومّا وردنا من أخبار هذه المضايقات ما ذكره السمهودي من أنه في دولة السلطان الملك الظاهر جقمق المملوكي (الحكم: ٨٤٢-٨٥٧ هـ)، وردت مراسيمه إلى شيخ الحرم فارس الرومي الأشرفي،<sup>٦</sup> بمنع إدخال جنائز الشيعة إلى المسجد النبوي إلّا

١ إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني ٣: ٣٧٣ .

٢ التحفة اللطيفة ٥: ٢٠٦-٢٠٧ .

٣ التحفة اللطيفة ٣: ٢٤ .

٤ التحفة اللطيفة ٥: ٤٤٣ .

٥ التحفة اللطيفة ٥: ٤٤٣ .

٦ ترجمته في: التحفة اللطيفة ٥: ٤٠٢ .

الأشراف العلويين، فكان لا يدخل المسجد إلا جنائز الأشراف وأهل السنة. وحاول بعض أهل المدينة إدخال بعض الشيعة غير الأشراف، فقام في وجهه بعض أمراء الترك ومنعه من ذلك.<sup>١</sup>

و كانت نتيجة هذه الضغوط أن تحولت طائفة الشيعة الإمامية من الأكثرية السكانية بالمدينة في بداية العصر المملوكي، إلى أقلية في نهاية هذا العصر. ولكن بالرغم من ذلك فقد استطاع الشيعة الحفاظ على وجوده في المدينة المنورة خلال العهد العثماني، وكان لهم حياة علمية وأدبية في هذا العصر، كان يمثلها عدد من أعلام أسرة «بني شدقم» الأشراف المديين. واستمر التشيع الإمامي بالمدينة إلى يومنا هذا، حيث تُعرف الأقلية الشيعية الموجودة بها اليوم بالنخالة.

## المصادر والمراجع

اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، أحمد بن علي، تقي الدين المقرزي، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: وزارة الأوقاف، ط ٢، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد، البشاري المقدسي، ليدن: بريل، ١٩٠٦ م.

أعلام المدينة المنورة من بني شدقم وغيرهم، حسين الوائلي، قم، ط ١، ١٤٣٩ هـ.

إنباء الغمر بأبناء العمر، محمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.

بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد، ابن العديم الحلبي، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار القلم العربي، ١٩٨٨ م.

تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار

الفكر، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد، شمس الدين الذهبي،  
تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن، ابن عساكر الدمشقي، تحقيق: علي شيري،  
بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

تاريخ الملك الظاهر، محمد بن علي، ابن شدّاد الحلبي، تحقيق: أحمد حطيّط،  
بيروت، مؤسسة الريان، ٢٠٠٩.

تحفة الأزهار وزلال الأنهار، السيد ضامن بن شدقم المدني، تحقيق: كامل سلمان  
الجبوري، تهران: ميراث مكتوب، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المدينة  
المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١.

جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد السلام  
هارون، القاهرة: دار المعارف.

الدُرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، محمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، بيروت:  
دار الجيل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

ذيل العبر، محمد بن أحمد، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد رشيد عبد المطلب.

رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، قم: مؤسسة  
النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي، تحقيق: السيد موسى الشُّبيري الزنجاني،  
قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٦، ١٤١٨هـ.

رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، ابن بطوطة المغربي، بيروت: دار صادر،  
١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد، ابن جبير الأندلسي، بيروت: دار صادر، (لا. ت).  
رحلة العبدري، محمد بن محمد العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دمشق: دار  
سعد الدين، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو شامة  
المقدسي، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.  
الروضة الفردوسية والحضرة القدسية، محمد بن أحمد الآقشهري، تحقيق: قاسم  
السامرائي، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.  
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد، تقي الدين الفاسي، تحقيق:  
أيمن فؤاد سيّد ومصطفى محمد الذهبي، مكة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ط ٢،  
١٩٩٩م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: محمد حسين  
شمس الدين، بيروت: دارالكتب العلمية، (د. ت).  
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بيروت: دار  
الجيل، (د. ت).

فضائل مصر وأخبارها وخواصها، الحسن بن إبراهيم، ابن زولاق، تحقيق: علي  
محمد عمر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ت).  
الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: أيمن فؤاد سيّد، لندن: مؤسسة  
الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

الفهرست، علي بن بابويه، منتجب الدين الرازي، تحقيق: جلال الدين محدث  
ارموي، قم: كتابخانه عمومي آية الله العظمي مرعشي نجفي، ١٣٦٦ش.

لسان الميزان، محمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،

- بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية، عبد الرحمن المديرس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- معالم العلماء، محمد بن علي، ابن شهر آشوب، تحقيق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، بيروت: دار الأضواء، (د.ن).
- معجم السفر، أحمد بن محمد، أبو طاهر السلفي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣هـ / ١٤١٤هـ.
- معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: ف. كرنكو، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- معجم الشيوخ- المعجم الكبير، محمد بن أحمد، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- الغانم المطابة في معالم طابة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي، ابن شهر آشوب، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت: دار الأضواء، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- نصيحة المشاور وتسليية المجاور، عبد الله بن محمد، ابن فرحون المالكي، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- نصيحة المشاور وتعزية المجاور، عبد الله بن محمد، ابن فرحون المالكي، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، ج ٢٤، باعتناء: محمد

عدنان البخيت ومصطفى الحيارى، بيروت: المعهد الألماني للابحاث الشرقية،  
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

الورقة، محمد بن داود بن الجراح، تحقيق: عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد  
فراج، دار المعارف، ط٣.

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق: قاسم  
السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.